المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

أثر التشبيه التمثيلي في بيان حرص النبي- صلى الله عليه وسلم -على أمته دراسة بلاغية موازنة (باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم من صحيح مسلم أنموذجاً)

The effect of the representative simile in explaining the concern of the Prophet - may God bless him and grant him peace - for his nation, a balancing rhetorical study (Chapter on his compassion, may God bless him and grant him peace, for his nation, and his exaggeration in warning them of what would harm them from Sahih Muslim as an example)

بقلم الدكتورة

سناء محمد السيد محمود

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولي/ 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

أثر التشبيه التمثيلي في بيان حرص النبي- صلى الله عليه وسلم -على أمته دراسة بلاغية موازنة (باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم من صحيح مسلم أنموذجاً)

سناء محمد السيد محمود

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر .

البريد الإلكتروني: sanaelsayd.279@azhar.edu.eg

الملخص

اتجه هذا البحث إلى قليل من كثير من البيان النبوي الذي هدف إلى الكشف عن صفة من صفات المصطفىﷺ وهي شفقتهﷺ بأمته، وخوفه الشديد من أن يلحق بها العذاب في الآخرة بسبب العناد، وعدم الامتثال لما بُعِث به لهداية الناس، أخذ النبيﷺ يبين عنها بأبلغ ما يكون، وكيف لا وهوﷺ من أوتي جوامع الكلم، وهذا التوجه لأمور: أولهما: إبراز جانب ولو بسيط من البلاغة النبوية في الكشف عن هذه الصفة من صفاتهﷺ باختيار الالفاظ، والأساليب البيانية، والتراكيب، والصيغ كلٌ بما يناسب موضعه، وثانيهما: تسليط الضوء على هذه الصفة من صفاتهﷺ، وكيف كانﷺ شفيقًا بأمته، حريصًا على نصحهم وهدايتهم على الرغم من عناد البعض، واصراره على المضي في طريق الكفر والعصيان، وثالثها: الكشف عن الفرق بين الشفقة والرحمة بأنَّ خيطًا رفيعًا يفصل بينهما؛ فالشفقة تكون في نواحي خاصة، والرحمة تكون عامة لجميع المخلوقات، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على الاستقصاء، والإحاطة بكل ما يتصل بموضوع البحث حتى يمكن الوصول إلى الحقائق، والصفات الكلية، وقد قُسِم البحث إلى مبحثين الأول: لإبراز أثر التشبيه التمثيلي في بيان المعنى المراد في الأحاديث، والثاني: للموازنة بين الأحاديث يسبقهما تمهيد، وفي ذيلهما خاتمة أسفرت عن نتائج أهمها: أنَّ البلاغة النبوية في منزلة وسطى بين كلام المولىﷺ المعجز وبين كلام البشر، وأنَّ شفقتهﷺ تعددت صورها؛ فشملت القريب والبعيد عنه، الفرد والجماعة، وأنَّه في الأحاديث محل الدراسة برزت بلاغتهﷺ، وكانت في القمة باختيار الالفاظ، والأساليب البيانية، والتراكيب، والصيغ بما يناسب موضعه، ويناسب سابقه ولاحقه في النظم، وتوصي الدراسة بالتوجه إلى السنة النبوية، والاجتهاد في البحث عن مواطن فيها؛ لمحاولة استظهار بعضٍ من أسرار البلاغة النبوية في نظم الحديث النبوي كما في استظهار أوجه المناسبةً بين العمل والجزاء في الحديث النبوي.

الكلمات المفتاحية : البيان النبوي، الشفقة، التحذير.

The effect of the representative simile in explaining the concern of the Prophet - may God bless him and grant him peace - for his nation, a balancing rhetorical study (Chapter on his compassion, may God bless him and grant him peace, for his nation, and his exaggeration in warning them of what would harm them from Sahih Muslim as an example)

Sanaa Muhammad Alsayed Mahmoud
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Egypt.
Email: sanaelsayd.279@azhar.edu.eg

Abstract

This research focused on a little of the prophetic statement and revealed one of the characteristics of the Chosen One, may God bless him and grant him peace, which is his compassion for his nation, and his intense fear for them lest harm and torment befall them in the afterlife due to stubbornness, and lack of need for what God sent him, may God bless him and grant him peace, to guide people. The Prophet, may God bless him and grant him peace, went on to explain it. He explains it in the most eloquent and clear way possible, and how could it not be, since he, may God bless him and grant him peace, is one of the most comprehensive of speeches, and this approach is for several things: the first of them: highlighting a simple aspect of the prophetic eloquence in revealing this characteristic of his, may God bless him and grant him peace, choosing words, geometric methods, structures, and formulas in a way that suits its place, and the second of them: Shedding light and focusing on this characteristic of his, peace be upon him, and how compassionate he was with his nation, seeking their advice and guidance despite the stubbornness of some, and his insistence on moving forward on the path of disbelief and disobedience, and third: Revealing the difference between compassion and mercy, that a thin line separates them; Compassion is in specific aspects, and mercy is general to all creatures. The study adopted the inductive and analytical approach, which is based on investigating and examining everything related to the subject of the research so that the universal facts and characteristics can be reached, and it produced results, the most important of which are Prophetic eloquence is in a middle position between the miraculous words of the Lord, may God bless him and grant him peace, and the words of humans, and that his compassion, may God bless him and grant him peace, has many forms. It included those close to him and those far away from him, the individual and the group, and that in the four hadiths his eloquence, peace and blessings of God be upon him, was most prominent, and he was at the top by choosing words, graphical methods, structures, and formulas in a way that suits his place, and suits its precedent and successor in the systems. The study recommends turning to the Sunnah of the Prophet and striving to search for areas in it. To attempt to highlight some of the secrets of prophetic eloquence in the systems of the prophetic hadith, as well as to demonstrate the aspects of compatibility between work and reward in the prophetic hadith.

Keywords: Prophetic statement - compassion - warning..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا يليق بعظمته وجلاله، سبحانه تنزه عن النقصان، وأرسل رسوله بالهدى للناس، وأنزل عليه كتابه المبين الذي عرض فيه أشرف المعاني في أبين المباني، وقرن فيه كل عمل بما يناسبه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق من أوتي جوامع الكلم ملك زمام الفصاحة، وتربع على قمة البلاغة محمد بن عبد الله، المبعوث بالهدى والدين المبين، المرسل رحمةً للعالمين ﷺ، وعلى آله الكرام، وأصحابه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد :

فإنَّ مما لاريب فيه أنَّ المولى ﷻ بعث المصطفى ﷺ هدايةً، ورحمةً للعالمين، فقد قال تعالى في محكم تنزيله في غير موضع بأنَّه ﷻ أرسله ﷺ هداية للناس منها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾:[التوبة: ٣٣]، وقال تعالى عن كونه ﷺ رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء – ١٠٧] ،ومن مظاهر هدايته ﷺ بالعالمين دعوتهم إلى الإيمان والهداية، والخروج من الكفر والضلال، يرشدهم ﷺ ويهديهم إلى الطريق المستقيم بكل ما أوتي من وسائل متاحة، وجهد حتى لا يقعوا في الهلاك، ويكون لهم الفوز والنجاة في الدارين الحياة الدنيا والآخرة، أما عن رحمته وشفقته ﷺ بهم تظهر من خلال حرصه الشديد، وخوفه عليهم من الهلاك، ومعاناته ﷺ الشديدة في التحذير والإنذار من الوقوع في الهلاك على الرغم من كون البعض من الناس لا يأبه لذلك، ويصر على اتباع الشهوات، والمخالفة لما جاء به ﷺ حتى ينتهي به المطاف إلى الهلاك دون روية أو إدراك لما يفعله بنفسه، وقد حرص المصطفى ﷺ على إبراز شفقته وخوفه على أمته في أحاديث كثيرة يضيق البحث عن التناول لجميعها؛ لذا اتجه البحث إلى أنموذج من

البلاغة النبوية في حديثه ﷺعن هذه الصفة من صفاتهﷺ وهو ما ورد في صحيح مسلم تحت عنوان: (باب شفقته- صلى الله عليه وسلم-على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم) للدراسة ببيان أثر التشبيه التمثيلي-وهو الوسيلة البيانية الأبرز في الأحاديث كما سيتضح في أثناء التحليل البلاغي- في التأدية للمعنى المراد في الأحاديث، ومحاولة إبراز بعض الخصائص البلاغية في الأحاديث بمحاولة استظهار أوجه البلاغة النبوية في ترابط جملها، ومناسبة الألفاظ، والتراكيب، والصيغ للمعاني المرادة .

ليتجه بحثي نحو :

١- تسليط الضوء على صفة عظيمة من صفاتهﷺ التي لا تعد ولا تحصى، فهو من امتدحه رب العالمين بقوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[القلم- ٤] وهي شفقتهﷺ بأمته.

٢- إبراز بعض جوانب البلاغة النبوية في تلك الأحاديث الأربعة التي حرص فيها ﷺ على إبراز شفقته، وحرصه الشديد على نجاة أمته من الهلاك بالتحليل البلاغي لها الذي يرتكز على البيان لمدى مناسبة الألفاظ، والصيغ، والتراكيب، والأساليب البيانية في الأحاديث للمعاني المراد التعبير عنها.

وأما المنهج الذي اتبعتُهُ في البحث: فالمنهج الاستقرائي التحليلي القائم على الاستقصاء والإحاطة بكل ما يتصل بموضوع البحث حتى يمكن الوصول إلى الحقائق والصفات الكلية(١).

أما عن الخطوات التي اتَّبعتها في البحث فقد قمتُ بدايةً بالقراءة المتأنية للأحاديث محل الدراسة في صحيح مسلم، وعددها أربعة أحاديث، وبعد القراءة المتأنية لها، وتدبرها قمتُ بتقسيم البحث إلى مبحثين يقدمهما تمهيد سلطت

(١) ينظر: البحث الأدبي طبيعته- مناهجه- أصوله- مصادره ، تأليف د/ شوقي ضيف، ص ٣٧، دار المعارف، الطبعة السابعة .

الضوء فيه على أمرين رئيسين: أولهما: التعريف بمفهوم الشفقة، والتفرقة بين مفهومها، ومفهوم الرحمة، وثانيهما: العرض لنماذج من شفقتهﷺ، والمبحث الأول: جعلته لبيان أثر التشبيه التمثيلي في بيان المعنى في أحاديث الباب، والمبحث الثاني: جعلته للموازنة بين الأحاديث، وذلك بعد التفتيش في كتب الشروح، وكتب اللغة والمعاجم؛ للاستعانة بها في الفهم الجيد لمعاني الأحاديث، والاستفادة بما قالوه في ذلك، وهكذا سرت إلى نهاية البحث.

أما الخطة التي أقمتُ عليها بناء هذا البحث، فإنها اشتملت على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وبيانها كالآتي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية موضوع البحث- أهداف البحث- منهجه- الخطة المتبعة فيه.

التمهيد : **صور من شفقة النبي- صلى الله عليه وسلم**.

المبحث الأول: **أثر التشبيه التمثيلي في بيان المعنى في أحاديث الباب**.

المبحث الثاني: **الموازنة بين الأحاديث**.

الخاتمة : وفيها إيجاز لأهم ما توصلتُ إليه من نتائج ، وأهم التوصيات.

ثبت المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات.

وبعد، فإنني سأبذل في هذا البحث ما أملك من جهد، فإن يوفقني الله ﷻ فيه إلى الصواب، فذلك من فضل الله ﷻ وكرمه، وإن أخطي، أو أقصر، فأرجو من الله ﷻ أن يغفر لي، وحسبي أنَّي أنشد فيه الإتقان، وابتغي الصواب والإحسان.

أسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتى الله ﷻ بقلب سليم.

وصل اللهم على سيدنا محمد ﷺ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

صور من شفقة النبي- صلى الله عليه وسلم.

يهدف هذا التمهيد إلى تسليط الضوء على أمرين رئيسين: أولهما: التعريف بمفهوم الشفقة، والتفرقة بين مفهومها ومفهوم الرحمة، وثانيهما: العرض لنماذج وصور من شفقتهﷺ.

أولًا: التعريف بمفهوم الشفقة لغةً واصطلاحًا:

الشفقة في اللغة: "الشِّينُ، وَالْفَاءُ، وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى رِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ"(١)، وقد فسرت بأنَّها:" أن يكون الناصح من النصح خائفًا على المنصوح، وأشْفَقْتُ عليه أن يناله مكروه، والشَّفيقُ: الناصح الحريص على صلاح المنصوح".(٢)

وقد عُرِّفت بأنَّها:" عناية مختلطة بخوف؛ لأنَّ المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه" فإن عدي بـ(من) فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدي بـ(على) فمعنى العناية فيه أظهر،(٣) وقيل: "هي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس".(٤)

---

(١) مقاييس اللغة، تأليف/أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني المتوفي٣٩٥ه، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، ١٧٣/٣، دار الفكر١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .

(٢) كتاب العين، تأليف/أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي المتوفى١٧٠ه، تحقيق د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي،٤٤/٥، دار ومكتبة الهلال، وتهذيب اللغة، تأليف/محمد بن أحمد الأزهري الهروي المتوفي٣٧٠ه، تحقيق/محمد عوض مرعب،٢٦١/٨، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني المتوفي٥٠٢ه، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، ص ٤٥٨، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢هـ،والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف/ أيوب بن موسى الكفوي أبي البقاء الحنفي المتوفي١٠٩٤ه، تحقيق/ عدنان درويش، ومحمد المصري، ص١٢١، مؤسسة الرسالة- بيروت، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي المتوفي٨١٧هـ ،تحقيق/محمد علي النجار، ٣٣١/٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة ،عام النشر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(٤)التعريفات، تأليف/علي بن محمد الشريف الجرجاني المتوفي٨١٦ه، تحقيق/جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص١٢٧، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م .

ومما قيل في التفرقة بين الشفقة والرحمة:

" (وأمّا الشّفقة)أي: الخوف على وجه المحبة، (والرّأفة) وهي: شدة الرحمة، وهما يكونان في النواحي الخاصة، (والرّحمة)أي: المرحمة العامة لجميع الخلق أي: مؤمنهم، وكافرهم، وأنسهم، وجنهم، وقريبهم، وغريبهم، وفقيرهم، وغنيهم حتى مماليكهم، والحيوانات، وسائر الموجودات"، والنبي ﷺ كان فيه الرحمة بالكافة، وكان فيه الرأفة الخاصة ما لم تتعارض مع الرحمة بالكافة، كما في الرأفة بالآثمين الظالمين الذين يرتكبون ما يوجب حدًا من حدود الله ﷻ: كالمرتكب للزنا(١).

فالشفقة من مقتضيات الرسالة، والدعوة؛ فإنَّ الدعوة من الشفيق الرفيق تكون مستجابة من القلوب الطيبة المؤمنة المطمئنة، والرحمة هي التي تجذب الناس إلى الداعي، وليست القسوة، إنَّ النفوس التي تُدعى إلى الحق منها ما يفتح الله ﷻ قلبه للحق بقوة إيمان الداعي وشفقته، واجتذابه إليه بالحق، ومنهم من يحتاج إلى البينات والأدلة، وهؤلاء هم أهل البرهان والدليل، ومع الأنبياء المعجزات، ومنهم من يكون على قلوبهم غشاوة، وهؤلاء يدعون بالبرهان والحق، وتكرر الدعوة إليهم فإن اعتدوا رد كيدهم في نحرهم، وإنَّ من مقتضى الولاية الشفقة، ولقد دعا رسول اللهﷺ الولاة إلى الرفق بالرعية، ودعا لهم إن رفقوا بها، وأشفقوا، ولم يرمضوهم بقسوة، أو ظلم، أو استكراه، أو إضعاف

(١) ينظر: شرح الشفا، تأليف/علي بن سلطان، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري المتوفى١٠١٤هـ ،٢٨٠/١، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى،١٤٢١ه، وخاتم النبيين- صلى الله عليه وآله وسلم-، تأليف/محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفى١٣٩٤هـ،١٩٣/١، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة عام النشر١٤٢٥ هـ.

للنفوس، ولقد قالﷺ في ذلك:« اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا؛ فرفق بهم، فارفق به، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا؛ فشق عليهم فاشقق عليه [١]» [٢].

ثانيًا: صور من شفقته ﷺ بغيره:

تنوعت صور شفقتهﷺ بالغير، وهي مما يمكن تقسيمها إلى مظهرين: الشفقة بأولي القربي، والشفقة بأمته.

فمن شفقته ﷺ بأولي القربي:

شفقته بعلي بن أبي طالبﷺ فمما ورد في ذلك في كتب السير أنَّه قيل:" أقبلنا من بدر ففقدنا رسول اللهﷺ فنادت الرفاق بعضها بعضًا: أفيكم رسول الله، فوقفوا حتى جاء رسول اللهﷺ، ومعه على بن ابى طالب ﷺ، فقالوا يا رسول الله- صلى الله عليك وسلم- فقدناك فقال: إنَّ أبا حسن وجد مغصًا في بطنه؛ فتخلفت عليه"[٣].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب(الإمارة)، باب(فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة)،رقم:١٨٢٨ بتقديم في بعض الألفاظ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله-ﷺ-، تأليف/مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري المتوفى٢٦١هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي،١٤٥٨/٣، الناشر/دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٢) ينظر: خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ، ١٩٧/١.

(٣) المعجم الكبير، تأليف/سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني المتوفى٣٦٠هـ، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي،٤٦/٥، دار النشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة ،الطبعة: الثانية، وذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى،تأليف/محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى٦٩٤هـ، ص٩٤،نشر/مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية ،عام النشر:١٣٥٦ هـ.

ومما ورد في شفقته ﷺ بأمته:

أنَّ رسول الله ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم عليه السلام :(إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [إبراهيم-٣٦]، وقال في عيسى عليه السلام:(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة-١١٨]؛ فرفع يديه، وقال: «اللهم أمتي، أمتي، وبكى» فقال الله ﷻ:«يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل له، واسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله ﷻ:«يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نشوؤك صلى الله عليه وسلّم»[(١)].

وروي كذلك: "خرج رسول الله ﷺ من جوف الليل يصلي في المسجد، فصلى رجال صلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة، فخرج؛ فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، ففقدوا صوت رسول الله ﷺ، فجعل بعضهم يتنحنح؛ ليخرج إليهم، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى صلاته، أقبل على الناس، ثم تشهد وقال:«أمّا بعد: فإنَّه لم يخف عني شأنكم الليلة، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة، فتعجزوا عنها، فصلوا في بيوتكم، فإنَّ أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة [(٢)]»[(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب(الإيمان)، باب(دعاء النبي- صلى الله عليه وسلم- لأمته، وبكائه شفقة عليهم)، رقم: ٢٠٢، صحيح مسلم ، ١٩١/١.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بعدة روايات كتاب(الأذان) باب(صلاة الليل)، رقم:٧٣١، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه صحيح البخاري، تأليف/محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، ١٤٧/١، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله، وأعلام نبوته، وأفعاله، وأحواله في المبدأ والمعاد، تأليف/ محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى٩٤٢هـ، تحقيق وتعليق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض،٢٨/٧، الناشر/دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

ومن شفقته ﷺ على أمته:" تخفيفه، وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام:" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء" [(١)]...وأنَّه كان يسمع بكاء الصبي؛ فيتجوز في صلاته، ومن شفقتهﷺ أنَّه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: إنَّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال، وسلم عليه، وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا[(٢)] "[(٣)].

فهذه صور قليلة من كثير وكثير يضيق عن العرض له من مظاهر شفقتهﷺ بأمته .

فوائد التحلي بالشفقة :

إن للاقتداء برسول اللهﷺ في التحلي بصفة الشفقة فوائد ومميزات كثيرة في مقدمتها: التأسي بهﷺ، وفي هذا الثواب الكبير، ومما وورد في ثمرة التحلي بالشفقة وفوائدها: ما قيل:" من فوائد (الشفقة):

(١) طريق موصل إلى الجنّة.

(٢) دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الجمعة) باب(السواك يوم الجمعة)، رقم:٨٨٧، صحيح البخاري، ٤/٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق)، باب(إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)، رقم :٣٢٣١، صحيح البخاري،١١٥/٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، تأليف/أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى٥٤٤هـ، الحاشية/ أحمد بن محمد بن محمد الشمنى المتوفى٨٧٣هـ، ١/١٢٤-١٢٥، الناشر: دار الفكر الطباعة، والنشر، والتوزيع عام النشر: ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨ م.

(٣) تثمر الألفة، والمحبّة بين النّاس.

(٤) مظهر من مظاهر مراقبة الله عزّ وجلّ.

(٥) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

(٦) دليل على قرب العبد من ربّه ومحبّته له." [١]

وبعد وبهذا يكون البحث قد انتهى من الجانب النظري الذي عني بالبيان لمعنى الشفقة لغةً واصطلاحًا، والعرض لبعض من صور شفقتهﷺ بجميع المخلوقات؛ ليشرع البحث في محاولة الاستظهار لبعضٍ من بلاغة المصطفىﷺ في الأحاديث التي أبرز فيها شفقته ﷺ بأمته في صحيح مسلم، على الله ﷻ التوكل والاعتماد.

****

(١) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، تأليف/عدد من المختصين بإشراف الشيخ / صالح بن عبد الله بن حميد، إمام، وخطيب الحرم المكي،٦/٢٣٩٢، دار الوسيلة للنشر والتوزيع– جدة، الطبعة الرابعة .

المبحث الأول:

أثر التشبيه التمثيلي في بيان المعنى في أحاديث الباب.

في هذا المبحث سيتم التناول للأحاديث الشريفة الواردة في صحيح مسلم التي حرص النبيﷺ فيها على إبراز مدي شفقتهﷺ بأمته، وحرصهﷺعلى هدايتها للطريق الصحيح المؤدي إلى النجاة، والفوز بخيري الدنيا والآخرة في صور بيانية متعددة تتفق على هدف واحد وهو: التأكيد على شفقتهﷺعلى أمته، ومبالغته في تحذيرها مما يضرها، وإلباس الشفقة في الأحاديث لباس الحسية؛ لتقريب المعنى للذهن، ولغيرها من الأغراض الكثيرة التي سوف تتضح تباعًا أثناء التحليل البلاغي للأحاديث، أسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، وتجنب الخطأ والنسيان؛ إنَّه ولي ذلك، والقادر عليه.

الحديث الأول

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَأَبُو كُرَيْبٍ–وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ– قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:" إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ، وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ".(١)

الحديث النبوي الشريف هنا يبين فيه المصطفىﷺ حاله في الدعوة مع من بُعث إليهم بأنَّهم انقسموا صنفين: الصنف الأول: عرف الحق؛ فأطاع، واستجاب للدعوة المحمدية المرسلة من رب العالمين؛ لهداية الناس؛ فنجا وفاز، والصنف الثاني ضل؛ فعصى، ورفض قبول الدعوة؛ فخسر وهلك، وقد أبى المصطفىﷺ

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب(الفضائل)، باب(شَفَقَتِهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أُمَّتِهِ، وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ)،رقم:٢٢٨٣، صحيح مسلم ،١٧٨٨/٤.

العرض لهذا المعنى العظيم في صورة مجردة خالية من البيان، وبعيدة عن التأثير المنشود؛ فعرضهﷺ في صورة بيانية بالغة الروعة، وعظيمة التأثير في النفس البشرية على مدى السنين والأعوام وهي: التشبيه التمثيلي الذي تكفل بالقيام بالغرض المنشود أتم قيام، وأوفاه بالعرض للمعنى المعنوي في صورة محسوسة مشاهدة؛ حيث إنَّه شبه حالهﷺ مع قومه في حرصه الشديد على تبليغهم الدعوة للدين الإسلامي، وقد حرصﷺ من البداية على التنويه أنَّهﷺ مبلغٌ من رب العالمين لا ينطق عن الهوى، ووسيلته في ذلك إيثارهﷺ التعريف باسم الموصول بقولهﷺ:(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ) دون أن يقال:(مثلي ومثل رسالتي أو دعوتي)، وبدأ الصورة البيانية بتشبيه حالهﷺ في التبليغ للدعوة المصحوب بالشفقة، والخوف على أمته من المنقلب السوء إذا هم لم يطيعوه بحال قوم يوشك العدو أن يهاجمهم؛ فجاء واحد منهم؛ ليحذرهم من هذا العدو، واستخدم في التحذير كل ما أوتي من أساليب بلاغية اجتمعت على التأكيد على الخطر القادم، وعلى خوفه عليهم بقوله:" يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ" فأول تلك الأساليب البلاغية: أسلوب النداء الذي أدي الدور المنوط به من إثارة انتباه قومه لما سيلقى، والتركيز فيه، وناداهم بلفظ (قوم) أصله(قومي) "حذفت منه ياء المتكلم، واكتفي بالكسرة"[1]،"وقومُ كل رجل: شيعته وعشيرته[2]،" ولعل في الإيثار للفظه دون لفظ:(الناس) إشارة إلى أمرين: أولهما: عظم الأمر، وخطورته؛ لأنَّ لفظ (قوم) يشير إلى ذلك، فمما ورد في معناه:"

(١) شرح الكافية الشافية، تأليف/محمد بن عبد الله الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين المتوفى٦٧٢هـ، تحقيق/عبد المنعم أحمد هريدي،١٣٢٤/٣، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة، والدراسات الإسلامية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تأليف/ علي بن محمد، أبي الحسن نور الدين الأُشْمُوني الشافعي المتوفى٩٠٠هـ ،٤٠/٣، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) كتاب العين، ٢٣١/٥.

والقوم هم الرجال الذين يقوم بعضهم مع بعض في الامور، ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع"[١]، وثانيهما؛ ليظهر خوفه عليهم؛ لأنَّه منهم، يهمه ما يهمهم، ويحزنه ما يحزنهم، وثاني الأساليب: أسلوب التأكيد الذي شاع في الأسلوب من تصدير كلامهﷺ بأداة التأكيد (إنَّ)، وتكرارها في الجملتين، وأسلوب التأكيد المعنوي بقوله:(إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ) فهذا أسلوب تأكيد معنوي على رؤيته للعدو قادم؛ وثالث الأساليب: التعبير بقوله:(وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ) الذي أراد منها إبراز الحرص الشديد على التحذير؛ فالنَّذِيرُ الْعُرْيَانُ قال العلماء:" أصله أنَّ الرجل إذا أراد إنذار قومه، وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم اذا كان بعيدًا منهم؛ ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم، ورقيبهم، قالوا: وإنَّما يفعل ذلك ؛لأنَّه أبين للناظر، وأغرب، وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في حثهم واستنهاضهم للتأهب للعدو، وقيل: معناه(أنا النذير الذي أدركني جيش العدو؛ فأخذ ثيابي، فأنا أنذركم عريانًا)"[٢]، وأصل هذا التعبير مثل عربي قديم تحدثت كتب اللغة والأدب عنه فمما قيل:" وهو مثل قديم للعرب يقال عند الإنذار بقرب العدو مع المبالغة في الإنذار، أصله أنَّ النذير الجاد المغوث يتعرى من ثوبه، فيمسك بيده، ويشير به، ويلمع؛ لتسبقه رؤية الثوب سماع صوته، وإنّما ذلك عند قرب العدو، وهجومهم، فكان مثلًا عند الجد والتشمير في الإنذار بكل أمر هائل....، ويقال: أصل المثل في رجل من خثعم أخذه العدو، وسلبوه ثيابه، وقطعوا يده؛ فجاء قومه منذرًا على تلك الحال، ويقال إنّه في يوم

(١) معجم الفروق اللغوية، تأليف/أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى ٣٩٥هـ، تحقيق/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ص٤٢٧، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف/أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى٦٧٦هـ، ٤٨/١٥، الناشر/دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.

ذي الخلصة حمل عليه عوف بن عامر فقطع يده، ويد امرأته، والله اعلم"[1]، ومن العلماء من وجه هذا التعبير لمعنى كنائي بعيدًا عن أصل المثل بأنَّ مراده: "أي المخوف الذي ليس له غرض في التحذير بل هو عار عن تلبيس، وتدليس في وصف النذير"[2]، ورابعها: أسلوب الإغراء[3] بقوله:(فَالنَّجَاءَ) أصله: (فالزموا النجاء) بحذف الفعل لقصد التركيز على الغرض وهو: نجاتهم من الخطر القادم عليهم، فتلك أساليب بلاغية استعملها المحذر اتفقت على التأكيد على الرؤية للعدو، والتحقق من الخطر القادم عليهم، وإظهار شدة الخوف والشفقة عليهم من الخطر؛ ليؤتي التحذير أثره من إعداد العدة، والتأهب لما هو قادم.

هذا كله عن بلاغتهﷺ في التعبير عن شدة حرص هذا الرجل- الذي أراد تشبيه حاله ﷺ بحال الرجل-على مصلحة قومه، وخوفه عليهم بالأساليب البلاغية

---

(١) إصلاح المنطق، تأليف/ابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق المتوفى٢٤٤هـ، تحقيق/ محمد مرعب، ص ٢٢٩، الناشر/ دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى١٤٢٣ هـ،-٢٠٠٢ م، والفاخر، تأليف/ المفضل بن سلمة بن عاصم، أبي طالب المتوفى نحو٢٩٠هـ، تحقيق/عبد العليم الطحاوي، مراجعة/ محمد علي النجار، ص٨٤، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي الطبعة: الأولى،١٣٨٠ه، ومجمع الأمثال، تأليف/ أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري المتوفى ٥١٨ه، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد،٤٨/١، الناشر/دار المعرفة- بيروت، لبنان، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، تأليف/ الحسن بن مسعود بن محمد، أبي علي، نور الدين اليوسي المتوفى١١٠٢هـ، تحقيق د/ محمد حجي، د/ محمد الأخضر،٩١/١-٩٢، الناشر/الشركة الجديدة-دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة: الأولى١٤٠١ هـ-١٩٨١م، واللفظ للمرجع الأخير.

(٢) شرح الشفا، ١٥/٢.

(٣) الإغراء من الأساليب الكلامية يراد بها :" تنبيه المخاطب على أمر محمود؛ ليفعله"، وهو يكون منصوبًا بعامل محذوف جوازًا ما لم يكن الاسم معطوفًا، أو مكررًا، ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف/عبد الله بن يوسف جمال الدين ابن هشام المتوفى٧٦١هـ، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، ٧٥/٤، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

المذكورة آنفًا، أما عن بلاغتهﷺ في التعبير عن رد فعل القوم على ذلك الإنذار والتحذير فكانت كذلك بأساليب بلاغية اجتمعت جميعها على التوضيح والتقريب للمعنى المراد للذهن؛ ليكون أشد تأثيرًا في النفس؛ فبنيت الصورة الكلية على أسلوب المقابلة التي أدت الدور المنوط بها من الجمع بين المتضادين بأنَّه أطاعه مجموعة منهم بأنَّ تركوا مكان الخطر؛ فنجوا، وكذبه أخرون؛ فبقوا في موقعهم؛ فهلكوا؛ لتظهر المقابلة الفرق بينهما جليًا كما قيل: "والضد يظهر حسنه الضد"، وللتأكيد على المعنى بما يترك المجال فسيحًا للمتلقي؛ للتدبر في جزاء الفريقين؛ ليسارع إلى اتباع طريق النجاة وهي الطاعة والتصديق لما جاء به النذير، والابتعاد عن الطريق المؤدي للهلاك وهو التكذيب له، وفي كل جانب من جانبي المقابلة وجدت أساليب بلاغية وألفاظًا ساعدت على الوفاء بالمعنى المراد، والمبالغة فيه بما يخدم المقصد العام من المقابلة، ففي جانب الفريق المطيع وجدت جملة:(فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِم) أول الأساليب المستخدمة: العطف بالفاء التي تفيد معنى الترتيب مع التعقيب؛ فأفادت سرعة الاستجابة للتحذير، والتحرك نحو الطريق المؤدي للنجاة، وثانيها: الإيثار للفظ الفعل:(فَأَدْلَجُوا) دون غيره: كأن يقال:(فساروا، أو مشوا، أو غيره مما يؤدي معنى السير)، ومعنى:" دلج: الدَّلَجُ والدُّلجةُ: سيرٌ، وارتحال باللَّيل، وهو عام في سير الليل أوله، أو وسطه، أو آخره، أو سير الليل كله"(١)، وهنا يراد به السير من أول الليل إلى آخره؛ لأنَّه(أدلج) بتخفيف الدال، وقد فرق أهل اللغة بينه وبين (أدَّلج) بتشديد الدال بالقول:" قال أبو بكر: العامة تخطئ في تأويله؛ فتقول: أدلج الرجل إذا سار من آخر الليل، والإدْلاج عند العرب: سير الليل من أوله إلى أن

(١) كتاب العين،٦/٨٠، والدلائل في غريب الحديث، تأليف/قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبي محمد المتوفى٣٠٢هـ، تحقيق د/محمد بن عبد الله القناص،٢/٨٤٧، الناشر/مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م، وجمهرة اللغة، تأليف/أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفي ٣٢١ه، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، ١/٤٥٠، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

يقرُبَ آخرِه، والادِّلاج، والدُّلْجَة: سير آخر الليل، يقال: قد أدلج الرجل: إذا سار من أول الليل إلى أن يقرب آخره، وقد ادَّلَجَ ادِّلاجًا: إذا سار من آخر الليل"[1]، ومن هذا يتبين سر الإيثار للفظه أنَّه للإشارة إلى معانٍ: أحدهما :المبالغة في أخذهم الحيطة، والحذر من العدو القادم بالسير ليلًا حتي لا يراهم ، وينال منهم، والثاني: إبراز المشقة، والتعب في وصولهم للنجاة من الخطر؛ لأنَّه سير طويل من أول الليل إلى آخره، ولعل في هذا إشارة منهﷺ إلى أنَّ الفوز بالنجاة في الدنيا والآخرة محفوف بالمشقة والمتاعب من مجاهدة النفس لميولها، وشهواتها، ومقاومة فتن الحياة الدنيا، وزخارفها، والثالث: الإشارة إلى سرعة الاستجابة، والتنفيذ بالسير من أول الليل دون انتظار، وقد ترتب على تلك السرعة السير بتؤدة ومهلة، وفي جانب الفريق المكذب ذكر: (وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ؛ فَأَهْلَكَهُمْ، وَاجْتَاحَهُم)، وقد استخدم معها كذلك أساليب بلاغية أعانت على الوفاء بالمعنى المراد أولها: العطف بالفاء التي قامت بذات الدور الذى أدته في جانب الفريق المصدق وهو: إفادة سرعة توالى الأحداث، وتعاقبها مع فرق في المعنى؛ لأنَّه هنالك أفادت السرعة في الأخذ في طريق النجاة والفوز، ولكن هنا في الإهلاك والعذاب؛ فإنَّهم لما كذبوا المنذر؛ فبقوا في أماكنهم، ولم يأخذوا بوسائل النجاة كما فعل أقرانهم؛ فداهمهم العدو في الصباح؛ فقضى عليهم، وثاني الأساليب البلاغية: إيثار التعبير بصيغة الماضوية؛ لإفادة التحقق والثبوت في المعنى المذكور، وثالثها: عطف الفعل(وَاجْتَاحَهُم)على الفعل(فَأَهْلَكَهُمْ)؛ لإفادة المبالغة في القضاء عليهم بحيث لم يبق منهم باقية؛ لأنَّ معناه يفيد ذلك

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف/محمد بن القاسم بن محمد أبي بكر الأنباري المتوفى٣٢٨ه، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن،٦٥/٢،مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢ه-١٩٩٢م،وتهذيب اللغة للأزهري،٣٤٥/١٠،والصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية، تأليف/أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى:٣٩٣هـ، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار،٣١٥/١، الناشر/دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، واللفظ للأول.

فهو من "جوح: الجوحُ: الاستئصال، يقال: جاح الشيء يجوحهُ،[إذا أستأصله]، ومنه اشتقاق الجائحةِ"(١).

وقد ختم الرسول ﷺالحديث بصورة تشبيهة أخرى تؤكد ما أفاده التشبيه الأول من نجاة المصدقين له، وهلاك المكذبين له بأن قالﷺ:(فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ") فاسم الإشارة (ذلك) يعود على الطائفتين المذكورتين في الحديث آنفًا: الطائفة المصدقة للتحذير الناجية، والطائفة المكذبة للتحذير الهالكة، فالأولى مثل من صدقهﷺ من قومه، والثانية مثل من كذبه من قومه، وعن بلاغة المقابلة في الحديث قيل:" وقال في الفرقة الأولى: «فأطاعني» وقابله في الثانية بـ«كذّب» ليؤذن بأنَّ الطاعة مسبوقة بالتصديق، ويشعر بأنَّ التكذيب مستتبع للعصيان، كأنَّه جمع في كل من الفرقتين بين المعنيين، وإلى المعنيين أشار بقولهﷺ-:«من أطاعني»إلى آخره"(٢)، وقد حرص المصطفىﷺ على الختم لكلامه بما يؤكد على أنَّ ما أُرسل به من رب العالمين هو الحق الواجب على الناس اتباعه بمخالفته مقتضى الظاهر بوضعه الاسم المظهر(الْحَقِّ) موضع المضمر بأن يقال: (مَا جِئْتُ بِهِ) للتأكيد، والتقرير للمعنى في الذهن.

وبذلك يكون قد اجتمع في الحديث الشريف تشبيهان اتفقا في غرض عام أراده المصطفىﷺ وهو التقريب للمعنى المراد- وهو حرصه الشديد، وخوفهﷺ

---

(١) الصحاح، ٣٦٠/١، ومجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني المتوفى٣٩٥ه، دراسة وتحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان،٢٠٢/١، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية١٤٠٦ه-١٩٨٦م، وتفسير غريب ما في الصحيحين: البخاري، ومسلم، تأليف/محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر المتوفى ٤٨٨هـ، تحقيق الدكتورة/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ص٨٠، الناشر مكتبة السنة- القاهرة- مصر، الطبعة الأولى١٤١٥- ١٩٩٥، واللفظ لابن فارس.

(٢) سبل الهدي، والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله، وأعلام نبوته، وأفعاله، وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ٢٨٦/٢.

على أمته من العذاب، ونجاة المصدقين ، وهلاك المكذبين- للأذهان بتصويره في صورة محسوسة مشاهدة؛ ليجعل التأثير في النفس أوقع وأشد، واتفقا كذلك في إفادة المبالغة في المعنى، والتأكيد عليه غير أنّ المبالغة والتأكيد في التشبيه الأول كانت في إبراز خوفهﷺ وشفقته على أمته من الهلاك في حالة التكذيب، ظهر ذلك من خلال التعبير الذي ورد على لسان الرجل المنذر-الذي أراد منه تشبيه نفسه- ﷺ- به-بالقول:(يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ)، والتشبيه الثاني كانت المبالغة والتأكيد فيه على نجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين، والله ﷻ أعلم.

الحديث الثاني :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ، وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».(١)

وقد ظهر من نص الحديث الثاني الوارد في صحيح مسلم مدى حرصهﷺ، وشدة شفقته بأمته مما سيلحق بها بسبب الاتباع للشهوات، وارتكاب المعاصي على الرغم من عدم مبالاة البعض بذلك؛ لجهلهم، وتسلطهم، فعرض المصطفىﷺ ذلك المعنى في صورة بيانية وهي: التشبيه التمثيلي الذي قال عنه الإمام النووي(ت٦٧٦ه): "ومقصود الحديث أنَّهﷺ شبه تساقط الجاهلين، والمخالفين بمعاصيهم، وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا؛ لهواه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب(الفضائل)، باب(شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ)،رقم:٢٢٨٤، صحيح مسلم، ١٧٨٩/٤.

وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه، ساعٍ في ذلك لجهله"[١]، ووجه الشبه هنا ما ذكره الإمام بأنَّه: اشتراكهما في الجهل، والحرص على الهلاك؛ لعدم الإدراك والتمييز.

وتصدير الحديث الشريف بـ(إنَّما)؛ للتأكيد على تشبيه حالهﷺ بقوله:(مثلي):أي حالي في الدعوة للدين الإسلامي، وشفقتي بأمتي-والتعبير باللفظ العام(الأمة)؛ليفيد عموم وشمول الشفقة للجميع في زمانهﷺ، وفيما يليه من العصور إلى أن تقوم الساعة- من الهلاك؛ لعدم طاعتهم، واتباعهم لهوى نفوسهم، وشهواتهم، وحال البعض في عدم المبالاة بذلك؛ لجهلهم، وعدم تمييزهم للنافع والضار- بحال رجل أشعل نارًا عظيمة هائلة في الظلام- دل على ذلك التنكير للفظها؛ لغرض التهويل من أمرها، وعظم خطرها-، لغرض الاستضاءة، والاهتداء بها؛ للوصول للطريق الصحيح؛ فضوء هذه النار جذب إليه الدواب، والفراش، و(الدواب) يراد بها:" كلُّ شيءٍ مما خَلَقَ اللهُ يُسَمَّى دابّة، والاسمُ العامُّ الدابَّةُ لِما يُرْكَبُ"[٢]،"و(الفراش):هي جنس من الحشرات الطائرة يجذبها الضوء: كالنار، وغيرها؛ فتطير إليه، فتتساقط في النار؛ فتحترق؛ لعدم تمييزها الضار من النافع[٣]، وقد انتقيﷺ من الألفاظ، والأساليب في الهيئة الدالة على المشبه به ما

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ١٥/٥٠.

(٢) كتاب العين،٨/١٣، والصحاح، ١/١٢٤.

(٣) ينظر: كتاب العين،٦/٢٥٥، وغريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى ٢٧٦ه، تحقيق/أحمد صقر، ص٥٣٧، دار الكتب العلمية١٣٩٨ه-١٩٧٨م، ومعاني القرآن، وإعرابه، تأليف/ إبراهيم بن السري أبي اسحاق الزجاج المتوفي٣١١ه،٥/٣٥٥، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨ه-١٩٨٨م، وتهذيب اللغة للأزهري،١١/٢٣٧، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف/عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي أبي الفضل المتوفى٥٤٤هـ،٢/١٥٣، دار النشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث، والمعجم الوسيط، تأليف:(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)،٢/٦٨٢، الناشر: دار الدعوة.

أراد به الإشارة إلى أمور أراد بها حاله ﷺ مع قومه أولها: الإيثار لصيغة(استفعل)الدالة على الطلب، والسعي في الفعل كما أشار لذلك ابن جني(ت٣٩٢ه) في كتابه (الخصائص)[١] في(استوقد) دون(أوقد)؛ للدلالة على الجد والاجتهاد في الفعل، أو للتأكيد عليه مما يشير به ﷺ إلى معاناته في دعوته قومه، أو للتأكيد على دعوتهم، وثانيها: العطف بالفاء في قوله ﷺ:" فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ" التي أفادت أنَّ الوقوع في النار مسبب عما قبله، مما أراد به ﷺ الإشارة إلى أنَّ عناد الجاهلين، وجهلهم مفضي بهم إلى العذاب، والتعقيب الملازم للفاء أشار إلى سرعة وقوع الحدث، وتداعي الأمور تباعًا مما يكون أدعى لهم إلى أخذ الحيطة والحذر، وثالثها: التفنن في الأسلوب بعود الضمير مذكرًا(يَقَعْنَ فِيهِ) على اللفظ المؤنث:(النار) وهو مؤنث مجازي بحملها على معنى (الهلاك) وهو ما يسمى بـ(شجاعة العربية) وهو مما ورد كثيرًا في القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثورًا، ومنظومًا[٢].

وقد ذيّل المصطفى ﷺ الحديث بالذكر لوجه الشبه المراد من التشبيه التمثيلي وهو: الاشتراك في الجهل، والحرص على الهلاك؛ لعدم الإدراك، والتمييز، وعرضه في صورة بيانية غاية في الروعة والجمال وهي: الاستعارة التمثيلية بقوله ﷺ:" فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ"، وفي لفظ (آخذ) روايتان:" فروي بوجهين أحدهما: اسم فاعل بكسر الخاء، وتنوين الذال، والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين، والأول أشهر، وهما صحيحان"[٣]، و(الحُجَز) " بضم الحاء،

(١) ينظر: الخصائص، تأليف/ أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى ٣٩٢ه، ١٥٦/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

(٢) ينظر: الخصائص لابن جني، ٤١٣/٢.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ٥٠/١٥، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى٩١١هـ، حقق أصله، وعلق عليه/ أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر/دار ابن عفان للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- الخبر، الطبعة الأولى١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

وفتح الجيم جمع (حجزة) وهي: معقد السراويل، والإزار"[١]، ويقال": تحاجز القوم: أخذ بعضهم بحجزة بعض، وإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه"[٢]، فقد شبه ﷺ الهيئة الدال على شفقتهﷺ على أمته بعدم الوقوع في الخطر، ومنعه إياهم بكل ما يملك من وسائل: كالوعظ، والإرشاد، والبيان للجزاء المترتب على العصيان، ومع ذلك منهم من هو ماضٍ في طريقه غير آبهٍ بالتحذير بالهيئة الدالة على حال رجل رأى آخرين يوشكون على الوقوع في نار، أو خطر لا يدركونه؛ لجهلهم، وعدم تمييزهم؛ فحاول جاهدًا الامساك بهم حتي لا يقعوا في الخطر، وهم غير مهتمين، والجامع بين الهيئتين: الشفقة، والحرص على نجاة آخرين من خطر محقق، وهم ماضون على الوقوع فيه؛ لعدم التمييز، والجهل في كلٍ، ثم حذفت الهيئة الدالة على المشبه، واستعيرت الهيئة الدالة على المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية؛ لغرض التقريب للمعنى المعنوي بعرضه في صورة حسية تقربه للذهن، وتظهر شفقته وخوفهﷺ بأمته في صورة مرئية تعمل على بيانه جليًا، وتأكيده في الأذهان؛ ليكون أشد وقعًا في النفس يجعله يؤتي الأثر المرجو منه وهو: جعل المتلقين له يبادرون إلى الإسراع إلى الطاعة، والاتباع لهﷺ؛ للفوز بالنجاة، وتجنب العصيان، والعناد؛ للنجاة من الهلاك، وللتأكيد منهﷺ على الجهل، وعدم الروية للمتحدث عنهم في الحديث كان

---

(١)المحكم والمحيط الأعظم، تأليف/أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى٤٥٨ه، تحقيق/عبد الحميد هنداوي،٢/٦٠، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١ه-٢٠٠٠م، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار لابن عياض١/١٨٢، ولسان العرب، تأليف/محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى٧١١هـ،٥/٣٣٢، الناشر/دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة-١٤١٤ هـ.

(٢) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى" إكمال المعلم بفوائد مسلم " للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى٥٤٤ه، تحقيق الدكتور/ يحيي اسماعيل، ٧/٢٥٣، دار الوفاء للطباعة، والنشر الطبعة الأولى ١٤١٩ه - ١٩٩٨م .

الإيثار منهﷺعلى لفظ الفعل(قحم) بقوله:(وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ) أي: "تقعون فيها"[١] دون مرادفاته كأن يقال:(وأنتم تقدمون فيه) وذلك؛ للإشارة إلى أمرين: أولهما: الإشارة إلى الجهل، وعدم الروية، والتفكر في الأمور؛ لأنَّ بنية لفظ (قحم) مما يشير إلى ذلك فمما قيل في معناها:" اقتَحَمَ وهو: رَمْيُه بنفسَه في نَهْر، أو وَهْدةٍ، أو في أمْرٍ من غير رَوِيّة"[٢]، وقيل:" واقتحم اقتحامًا إذا هوى من علو إلَى سفل، أَو دخل فِي شَيْء من غير هِدَايَة"[٣]، وقيل:" يدخل فيها بغير تثبت ولا رويَّة"[٤]، وثانيهما: الإشارة إلى صعوبة، وخطورة الأمر المقدمين عليه؛ لأنَّ مما قيل في الفرق بين التقحم، والإقدام: "أنَّ التقحم: الإقدام في المضيق بشدة يقال: تقحم في الغار، وتقحم بين الأقران، ولا يقال أقدم في الغار، وأصل التقحم الإقدام على القحم وهي: الأمور الشديدة واحدها قحمة..."[٥].

الحديث الثالث

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ؛ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ؛ فَتَغْلِبُونِي، تَقَحَّمُونَ فِيهَا».[٦]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف/مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى٦٠٦ه، تحقيق/طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي،١٨/٤، المكتبة العلمية-بيروت ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م.

(٢) كتاب العين، ٥٤/٣، وتهذيب اللغة، ٤٩/٤.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد، ٥٦٠/١.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس، ٢١١/٢.

(٥) الفروق اللغوية، تأليف/أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي٣٩٥ه، تحقيق/محمد إبراهيم سليم، ص١١٣-١١٤، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة- مصر.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب(الفضائل)، باب(شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ)،رقم : ٢٢٨٤ صحيح مسلم، ١٧٨٩/٤.

في هذا الحديث الشريف يعرض المصطفىﷺ ذات الفكرة الرئيسة التي دار حولها الحديث السابق من كونهﷺ شفيقًا بأمته، حريصًا على نفعهم، ونجاتهم من العذاب، ومنهم من هو غير أبهٍ بذلك، مصرُ على المضي في طريق العناد، والمخالفة، واستعملﷺ ذات الوسيلة البيانية المستخدمة في الأحاديث السابقة وهي: التشبيه التمثيلي المبين لحالهﷺ، وحال القوم معه، فبدأ حديثهﷺ بأداة التشبيه (مثل) بقولهﷺ:" مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا..." أي: حالي في دعوتي إلى الإيمان والهداية، وشفقتي على الأمة كحال رجل أوقد نارًا عظيمة في ظلام الليل؛ لغرض الاستضاءة، والاهتداء بها في الظلام، فلما أضاءت ما حولها- وهذه العبارة اقتبسهاﷺ(١) من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة- ١٧]؛ ليزداد النظم بها حسنًا وطلاوة- جذبت إليها الفراش، والدواب؛ فأخذ هذا الرجل يحجزهن، ويغلبنه أي:" يبعدهن ويؤخرهن عن النار"(٢)، وهي تقحم نفسها فيها؛ لعدم التمييز، والادراك منها لمواطن الخطر، وهذا التفصيل في الهيئة الدالة على المشبه به أراد منها ﷺ بيان مدى معاناتهﷺ مع قومه؛ لمنعهم من الوقوع في الهلاك؛ ووجه الشبه هنا: عدم الإدراك، والتمييز في كلٍ لمواطن الخطر على الرغم من وجود المحذر، وأخذه بكل الوسائل الممكنة من المنع من الوقوع في

(١) الاقتباس: "هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله خاصة"، خزانة الأدب، وغاية الأرب لابن حجة الحموي المتوفي٨٣٧ه، تحقيق/ عصام شقيو، ٤٥٥/٢، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت،الطبعة الأخيرة٢٠٠٤م، والإيضاح مع البغية، تأليف/عبد المتعال الصعيدي المتوفى١٣٩١ه ،٦٨٨/٤، مكتبة الآداب،الطبعة: السابعة عشر:١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، وجواهر البلاغة في المعاني، والبيان، والبديع، تأليف/أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المتوفى١٣٦٢ه، تحقيق د/ يوسف الصميلي، ص٣٣٨، المكتبة العصرية- بيروت، واللفظ للأول.

(٢)مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٨٢/١.

الخطر، وأكدﷺ على ما أراد بأنَّ ذيل حديثهﷺ بإعادة التذكير على تشبيه حالهﷺ مع قومه بحال هذا الرجل المذكور بقولهﷺ :" فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ" فاسم الإشارة هنا عائد على الصورة المذكورة، وقد أوثر التعريف به للإيجاز، وتفادي التكرار في النظم مع إفادة التعريض بغباوة المتحدث عنهم بالإشعار بأنَّ الإقدام على الخطر في تلك الحالة أمر واضح جلي ، والتعبير باسم الإشارة البعيد مع اقترانه لام البعد؛ للدلالة على البعد أكثر؛ لغرض التفخيم، والتهويل لتلك الحالة المذكورة؛ لتحقيق مزيد تخويف، وترهيب يرجى منه تحقيق الأثر من الابتعاد والاجتناب لمواطن الخطر أي: تلك الهيئة المذكورة لهذا الرجل مع الدواب، والفراش كحالي معكم أنا آخذُ بكل ما أُوتيت من وسائل؛ لمنع وقوعكم في الهلاك حال استمراركم على العناد والمخالفة، ومنكم من يصر على ذلك غير آبه بذلك، وقد انتقيﷺ من الألفاظ والأساليب في هذا الحديث ما يقوم بأداء مهمة الأداء للمعنى المراد على خير ما يكون منها ما ورد في الحديث السابق: كالاستعارة التمثيلية في" أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّار" وقد تم التوضيح لها، ولأثرها فيما سبق بما يغني عن الإعادة هنا(١)، غير أنَّه هنا زاد بالذكر لعبارة:" هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ" التي مرادها: التحذير، وطلب الابتعاد عن الخطر؛ لأنَّ لفظ (هَلُمَّ) اسم فعل أمر بمعنى: الدعوة إلى الشيء، والإقبال عليه(٢)، عدي هنا بحرف الجر(عن)؛ فتضمن معني التحذير، وطلب الابتعاد عن النار، والتكرار للجملة؛ للتأكيد على التحذير، ولإبراز وافر

(١) ينظر: هذا البحث، ص ١٦-١٧.

(٢) ينظر: كتاب العين،٥٦/٤، وحروف المعاني والصفات، تأليف/عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي المتوفي٣٣٧ه، تحقيق/علي توفيق الحمد، ص١٩، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٤م، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، تأليف/أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين المتوفى:٣٩٥هـ، ص١٢٨، الناشر/ محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

حرصه، وشفقته عليهم، وفي المقابل يظهر الجانب الآخر العناد والإصرار على المضي على ما هم عليه بالتعبير بقولهﷺ: "فَتَغْلِبُونِي" الذي يظهر بهﷺ مدى إصرارهم، وعنادهم، وإيثار التعبير بلفظ الفعل:(فَتَغْلِبُونِي) دون مرادفاته كالفعل: (تهزموني) للإشارة إلى أمرين: أولهما: إبراز مدى معاناتهﷺ معهم، فأصل مادة الفعل(غلب)" تدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ، وَقَهْرٍ، وَشِدَّةٍ"[١] حتى كأنَّهﷺ في صراع معهم ينازعهم بإبعادهم عن الخطر، وهم ينازعوه بالورود، والإقدام على الخطر بدون روية ولا إدراك لخطورة ما هم مقدمين عليه كما دل على ذلك اتباع التعبير بلفظ (فَتَغْلِبُونِي) بالتعبير بلفظ الفعل:(تقحمون) وهو ما تم بيان دلالته، وسر إيثاره في الحديث السابق بما يغني عن إعادته[٢]؛، وثانيهما: الإشارة إلى أنَّ غلبتهم عليه لا تعنى أفضليتهم؛ لأنَّ مما قاله صاحب (كتاب العين) فيما يدل عليه لفظ (المُغَلَّبُ): "والمُغَلَّبُ: الذي يَغلِبُه أقرانه فيما يمارس، والمُغَلَّبُ قد يكون المفضل على غيره"[٣]، والفاء في (فَتَغْلِبُونِي)هي فاء الفصيحة[٤]؛ حيث إنَّها أفصحت عن محذوف قبلها دل عليه السياق وهو: (تصرون على عنادكم؛ فتغلبوني، تقحمون فيها)، ومع إفادتها ذلك دلت على أصل معناها وهو: الترتيب مع التعقيب؛ فأفادت معنى سرعة تداعي الحدث، وترتيبه أي: غلبتهم لهﷺ واقعة بعد التحذير، وأنَّه ليس هنالك فاصل زمني طويل بين تحذيرهم، ووقوعهم في الهلاك مما يفيد المبالغة فيما يحدث لهم من العذاب في الآخرة حتى كأنَّه ليس بين التحذير،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٣٨٨/٤.

(٢) ينظر البحث، ص ١٧.

(٣) كتاب العين، ٤٢٠/٤.

(٤) هي من معاني الفاء العاطفة ويراد بها: الدالة على محذوف قبلها هو سبب لما بعدها وسميت فصيحة؛ لإفصاحها عما قبلها أي: بينت ،وكشفت عن المحذوف، ودلت عليه، وعلى ما نشأ عنه، ولأنَّها-أحيانًا- تفصح عن جواب شرط مقدر، ينظر: النحو الوافي/عباس حسن، ٦٣٦/٣ دار المعارف- الطبعة الخامسة عشر.

والوقوع في الهلاك وقت كما قال تعالى:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝﴾[الروم – ٥٥] .

الحديث الرابع

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَلِيمٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ، وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»(١).

في هذا الحديث يعرض فيهﷺ ذات الفكرة الرئيسة التي دارت عليها الأحاديث الثلاث السابقة من كونهﷺ شفيقًا بأمته، حريصًا على نفعهم، ونجاتهم من العذاب، ومنهم من هو غير أبهٍ بذلك مصرُ على المضي في طريق العناد والمخالفة، وكما أنَّ الأحاديث الأربع اتفقت في الفكرة الرئيسة كذلك اتفقت في الوسيلة البيانية المؤدية للفكرة الرئيسة، والمعنى المراد على أكمل ما يكون الأداء، والبيان وهو: التشبيه التمثيلي المبرز للمعاني الخفية المعنوية في صورة بادية محسوسة يتحقق بها الأثر المرجو من الاجتناب لما سيؤدي للهلاك من العناد، والمخالفة لما بعث به المصطفىﷺ، والتمسك بما سيحقق النجاة، والفوز من الطاعة والامتثال لما بعث بهﷺ، فشبه حالهﷺ مع قومه بقولهﷺ:" مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ..." من الدعوة إلى الإيمان والهداية، وشفقته، وخوفه على الأمة، ومنهم من هو غير آبهٍ بذلك، مصر على المضي قدمًا في طريق العناد والمخالفة بالاتباع للشهوات، والوقوع في المعاصي المؤدية إلى العذاب في الآخرة كحال رجل أوقد نارًا عظيمة في ظلام الليل؛ لغرض الاستضاءة والاهتداء بها في الظلام، وهذه النار جذبت إليها الحشرات التي يجذبها الضوء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب(الفضائل)، باب(شَفَقَتِهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أُمَّتِهِ، وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ)،رقم : ٢٢٨٥، صحيح مسلم، ٤/١٧٩٠.

من(الجنادب):"الجُندب: الذَّكرُ من الجراد، ويقال: يشبه الجراد"(١)، وقيل:" الصغير من الجراد"(٢)، وقيل : "نوع من الجراد يصرّ، ويقفز، ويطير، وجمعه جنـــادب"(٣)، وقيل: ليس بالجراد نفسه، إنَّما هو الصرار عند بعضهم(٤)، و(الفراش) هي: جنس من الحشرات الطائرة يجذبها الضوء: كالنار، وغيرها؛ فتطير إليه، فتتساقط فـــي النار؛ فتحترق؛ لعدم تمييزها الضار من النافع كما تم البيان لها فيمـــا ســـبق(٥) وهذا الرجل حاول إنقاذها من النار، فقال ﷺ:(يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا) من الذبِّ وهو: الدفاع ، والحماية، والمنع؛ فورد في العين: "وهو يَـــذُبُّ فـــي الحَـــرْبِ عـــن حَريمـــه، وأصحابه، أي: يدفَع عنهم ذَبًّا"(٦)، وفي الإيثار للفظ الفعل (ذبَّ) هنا فيه إشـــارة إلى ضعف المقدم على الخطر، وقوة، وشجاعة المانع لهـــم مـــن الوقـــوع؛ لأنَّ الحامي، والمانع عن غيره هو الأقوى، والمتحمل للمسئولية، ولكنها تصر علـــى الاقحام في النار؛ لعدم تمييزها، وإدراكها لمواضع الخطر، ووجه الشبه هو: عدم الإدراك، والتمييز في كلٍ لمواطن الخطر على الرغم من وجود المحذر، وأخذه بكل الوسائل الممكنة من المنع من الوقوع في الخطر، وأكدﷺ على ما قصده من معنى في الحديث بأن أعاد التذكير بما يبرز مدى وافر حرصه، وشفقته على أمته مـــن الهلاك، ويبرز كذلك معاناتهﷺ في هذا المنع؛ لإصرارهم على العناد، والمخالفـــة بقولهﷺ في نهاية الحديث:" وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَـــدِي" فهذه استعارة تمثيلية استخدمهاﷺ في الحديثين الثاني، والثالث، وقد تم التوضيح

---

(١) كتاب العين،٦/٢٠٦.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس،١/٢٢١.

(٣) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، تأليف/عبـــد اللطيـــف عاشـــور، ص١٤١، الناشر: القاهرة.

(٤) ينظر: شرح حديث مسلم للقاضي عياض، ٧/٢٥٢.

(٥) ينظر: هذا البحث، ص ١٥.

(٦) كتاب العين،٨/١٧٨، والمحكم والمحيط الأعظم،١٠/٥٣، واللفظ للأول.

لها، ولأثرها أثناء التناول للحديث الثاني بما يغني عن الإعادة هنا(١)، غير أنَّه ﷺ زاد هنا التأكيد على عنادهم، وإصرارهم على العصيان، والمخالفة المؤدي بهم إلى الهلاك بالاستعارة التمثيلية المبينة لموقفهم على أجمل ما يكون البيان بقوله ﷺ: "وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي" فقد شبه ﷺ حاله معهم هو يرشدهم، ويهديهم إلى الطريق المستقيم بكل ما أوتي من وسائل متاحة، وجهد حتى لا يقعوا في العذاب وهم لا يأبهون لذلك يصرون على اتباع الشهوات، والمخالفة حتى ينتهي بهم المطاف إلى الهلاك بحال شخص قبض يده على حيوان يصعب الإمساك به: كالسمك، أو غيره مما يصعب الإمساك به، كلما قبض عليه حتى لا يقع من يده تفلفت من يده، وهرب، وذهب إلى طريق مجهول لا يدري نهايته، والجامع هنا: الإقدام على الخطر، والمجهول لعدم التدبر، والإدراك لمواطن الخطر في كلٍ على الرغم من وجود من حاول جاهدًا المنع من الوقوع في ذلك؛ ثم حذفت الهيئة الدالة على المشبه، واستعيرت الهيئة الدالة على المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية؛ لغرض التقريب للمعنى المعنوي بعرضه في صورة حسية تقربه للذهن، وتظهر معاناته، وفرط حرصه ﷺ على نجاتهم من الهلاك على الرغم من إصرارهم، وعنادهم على المضي فيما يريدون من الاتباع للشهوات، والمخالفة لما بعث به ﷺ في صورة مرئية تعمل على بيانه، وتأكيده في الأذهان؛ ليكون أشد وقعًا في النفس يجعله يؤتي الأثر المرجو منه وهو جعل المتلقين له يبادرون إلى الإسراع إلى الطاعة، والاتباع له ﷺ؛ للفوز بالنجاة، وتجنب العصيان، والعناد؛ للنجاة من الهلاك، وإيثار التعبير بالفعل (تَفَلَّتُونَ) وهو ما قيل عن معناه :"الْفَاءُ، وَاللَّامُ، وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَخَلُّصٍ فِي سُرْعَةٍ، يُقَالُ: أَفْلَتَ يُفْلِتُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ فَلْتَةً، إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ تَدَبُّرٍ، وَلَا رَأْيٍ، وَلَا تَرَدُّدٍ، وَيُقَالُ:" تَفَلَّتَ إِلَى هَذَا

(١) ينظر: هذا البحث، ص ١٧.

الْأَمْرِ، كَأَنَّهُ نَازَعَ إِلَيْه"[١]، وقيل عنه كذلك:" تفلتون روي بفتح التاء، واللام المشددة، وبضم التاء، وسكون الفاء، وكسر اللام المخففة يقال: تفلت، وأفلت إذا ثار على الغلبة، والهرب، ثم غلب، وهرب"[٢]– دون مرادفاته كأن يقال: (وأنتم تتركون يدي، أو غيرها) مما يؤدي ذات المعنى، وذلك؛ للإشارة إلى مدي تمسكهﷺ، وحرصه الشديد على نجاتهم، وعدم وقوعهم في الهلاك، ويظهر كذلك مدى الإصرار منهم، والعزم على المضي فيما هم فيه غير آبهين لإرشاده، وتوجيهه ﷺ.

وبعد وبهذا يكون البحث قد انتهى من إبراز بعض خصائص البلاغة النبوية التي هي في القمة تحتل المرتبة الثانية من مراتب التعبير البياني بعد كتاب الله ﷻ في الأحاديث الأربع محل الدراسة التي حرص فيهاﷺ على بيان أمرين: أولهما: شفقتهﷺ، وحرصه الشديد على نجاة أمته من الهلاك، وثانيهما: عناد البعض، وإصراه على المخالفة، والعناد، والمضي في طريق الهلاك وهو الاتباع للشهوات، والعصيان، لينتقل البحث إلى المحطة الأخيرة منه وهي محاولة الموازنة بين الأحاديث الأربعة؛ للوقوف على بعضٍ من نقاط الاتفاق والاختلاف بينها تارة بصورة إجمالية، وأخرى بصورة تفصيلية، على الله ﷻ التوكل والاعتماد .

****

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس،٤/٤٤٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ١٥/٥٠،والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي، ٥/٣٠٨.

المبحث الثاني: الموازنة بين الأحاديث.

في هذا المبحث سيتم الوقوف على بعض من نقاط الاتفاق والاختلاف بين الأحاديث الأربعة التي تم التناول لها في المبحث السابق مع الموازنة بينها، والموازنة هنا ليست بالمعنى المعروف في كون بعض الكلام فاضلا، والآخر مفضولًا؛ فكل كلامهﷺعلى درجة واحدة من البلاغة، والإعجاز البياني، ولكن بقصد البيان لأثر تعدد الروايات للأحاديث محل الدراسة، والتركيز على ما اشتملت عليه كل رواية من لطائف تفردت بها، وبيان مناسبة هذه اللطائف لموقعها المستخدمة فيه، وبدايةً نذكر بنص الأحاديث؛ لتكون قريبة العهد بالمتلقي حتي لا يضطر إلى الرجوع إلى المبحث السابق وهي:

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَّادٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَأَبُو كُرَيْبٍ- وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ- قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:" إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا؛ فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ؛ فَأَهْلَكَهُمْ، وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ".

الحديث الثاني :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ، وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».

الحديث الثالث :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ؛ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ؛ فَتَغْلِبُونِي، تَقَحَّمُونَ فِيهَا».

الحديث الرابع :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَلِيمٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ، وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي».

وقد وجد بين الأحاديث الأربعة نقاط اتفاق عامة، وخاصة، وكذلك وجد بينها نقاط اختلاف عامة، والبداية تكون لنقاط الاتفاق:

أولًا : **نقاط الاتفاق وهي عامة، وخاصة** :

أما عن العامة فهي:

١- اتفقت الأحاديث الأربعة في الفكرة الرئيسة التي هدف المصطفى ﷺ إلى توصيلها للمتلقين على مر السنين من كونه-ﷺ- شفيقًا بأمته، حريصًا على نفعهم، ونجاتهم من العذاب، ومنهم من هو غير أبهٍ بذلك، مصرُ على المضي في طريق العناد، والمخالفة المفضي بهم إلى الهلاك .

٢- اتفقت في الوسيلة البيانية المؤدية للفكرة الرئيسة، والمعنى المراد على أكمل ما يكون الأداء، والبيان وهي: التشبيه التمثيلي المبرز للمعاني الخفية المعنوية في صورة بادية محسوسة يتحقق بها الأثر المرجو من الحث على الترك للعناد، والمخالفة لما بعث به المصطفىﷺ المؤديان للهلاك، والتمسك بنقيضهما

وهما: الطاعة، والامتثال لما بعث به المصطفىﷺ المحققان للنجاة، والفوز في الدنيا والآخرة.

أما عن نقاط الاتفاق الخاصة فهي:

١- اتفق الحديث الثاني، والثالث، والرابع في الهيئة الدالة على المشبه به من كونها هيئة رجل أوقد نارًا عظيمة في ظلام الليل؛ لغرض الاهتداء بها؛ فجذبت هذه النار العظيمة الفراش، والحشرات؛ فأخذت تتساقط فيها؛ لعدم قدرتها التمييز بين النافع والضار؛ فحاول هذا الرجل جاهدًا بكل ما أوتي من وسائل منعها من هذا التساقط المؤدي إلى هلاكها في النار، وهي تصر على ذلك غير مدركة، وفي تلك الهيئة إسقاط ، وإشارة إلى حالهﷺ مع قومه مستخدمًا مع كل هيئة من الهيئات الثلاثة الواردة في الأحاديث ما ناسبها من الألفاظ، والأساليب اللغوية، والبيانية كما تم التفصيل، والبيان لذلك فيما قبل[١]،اتفقت الأحاديث الثلاثة كذلك في الاستعارة التمثيلية بقولهﷺ:" أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّار" التي قصد بهاﷺ بيان شفقته بأمته، ومدى معاناتهﷺ في المنع من الوقوع في الهلاك كما تم التوضيح لها، ولأثرها فيما سبق بما يغني عن الإعادة[٢].

٢- اتفق الحديثان الثاني، والثالث بالتعبير بلفظ: (تقحمون) دون مرادفاته؛ للإشارة بها إلى عدم الروية، والتدبر في الإقدام على الخطر، وصعوبة، وخطورة ما هم مقدمين عليه كما تم التوضيح لسبب الإيثار له دون مرادفاته فيما سبق بما يغني عن الإعادة [٣].

(١) ينظر: هذا البحث ص ١٥- ٢٢.

(٢) ينظر: هذا البحث ص ١٧.

(٣) ينظر: هذا البحث ص ١٧.

ثانياً : نقاط الاختلاف :

١- اختلاف هيئة المشبه به في الحديث الأول عن هيئة المشبه به في الأحاديث الثلاثة، وقد ناسب كلٌ موقعه؛ حيث إنَّه لما كان الحديث الأول القصد منه البيان لجهادهﷺ في التبليغ للدعوة مع قوم منهم من صدقهﷺ، ومنهم من كذبهﷺ، وهوﷺ شفيق بهم، حريص على النجاة للجميع ناسبه الهيئة الدالة على المشبه به المذكورة في الحديث، وهي هيئة قوم يوشك العدو أن يهاجمهم؛ فجاء واحد منهم؛ ليحذرهم من هذا العدو، واستخدم في التحذير كل ما أوتي من أساليب بلاغية اجتمعت على التأكيد على الخطر القادم، وعلى خوفه عليهم بقوله:" يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ"، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا؛ فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ، وَاجْتَاحَهُمْ..." مستخدمًا فيها الألفاظ، والأساليب المناسبة التي كان لكلٍ دوره في التوفية للمعني المراد على أكمل ما يكون، وهو ما تم البيان، والتوضيح له في المبحث الأول بما يغني عن إعادته هنا، أما الأحاديث الثلاثة لما كان القصد منها البيان لشفقتهﷺ بأمته، وحرصه على نفعهم، ونجاتهم من الهلاك، ومنهم من هو غير مدرك لما فيه نفعه، مصرُ على المضي في طريق العناد والمخالفة المؤدي للهلاك ناسبها الهيئة الدالة على المشبه به المذكورة في الاحاديث وهي: هيئة رجل أوقد نارًا عظيمة في ظلام الليل؛ لغرض الاستضاءة، والاهتداء بها في الظلام، وهذه النار جذبت إليها الحشرات، والدواب؛ فأخذ هذا الرجل يمنعها من التساقط فيها بكل الوسائل المتاحة لديه، وهي تصر على الوقوع فيها؛ لعدم التمييز، والإدراك، مستخدمًا فيها الألفاظ، والأساليب المناسبة التي كان لكلٍ دوره في التوفية للمعني المراد على أكمل ما يكون، وهو ما تم البيان، والتوضيح له في المبحث الأول بما يغني عن إعادته هنا .

٢- انفراد الحديث الثاني بالإيجاز في العرض، والتعبير عن المعنى المراد؛ حيث إنَّه لم يذكر في هيئة المشبه به محاولة الرجل الإنقاذ للدواب، والفراش من

النار بينما تحقق التفصيل في العرض في باقي الأحاديث سواء التي اتفقت معها في الهيئة كما في الحديثين الثالث، والرابع أو اختلفت معها في الهيئة كما في الحديث الأول.

٣- انفراد الحديث الثالث بأمور منها: التأكيد على التشبيه بإعادة التذكير بالتشبيه بقولهﷺ:" فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ..."، والتأكيد على التحذير، وبيان مدى جهاده في ذلك بالذكر، والتكرار لجملة:" هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ"، وهذا الاختلاف بالزيادة في الألفاظ في بعض الروايات عن الأخرى، وكذلك الاختلاف بالإيجاز، والإطناب في العرض أمر يرجعه علماء الحديث أحيانًا إلى اختلاف الرواة، أو نسيانهم لبعض الألفاظ، أو أنَّ الرواة لم يضبطوا ما سمعوا؛ فترخصوا في الرواية بالمعنى، وهي جائزة، ولكن يمكن القول: إنَّ هذا الاختلاف قد يرجع إلى اختلاف المقام الذي قيل فيه الحديث، أو مراعاة لحال المخاطب بالقول، فمما قيل في الرد عن ذلك:" من الخطأ البَّين أن يعزى اختلاف ألفاظ الأحاديث التي تتوارد على معنى واحد إلى الرواية بالمعنى وحدها بل كان لمجالسهﷺ المتعددة بتعدد الأزمنة، والأمكنة، والحوادث، والأحوال، والسامعين والمستفتين... أثر في ذلك كبير، فكانت ألفاظهﷺ تختلف في كل ذلك، إيجازًا وإطنابًا، ووضوحًا وخفاءً، وتقديمًا وتأخيرًا، وزيادةً ونقصانًا بحسب ما تقتضيه الحال، ويدعو إليه المقام.. وألفاظه في ذلك تختلف باختلاف المناسبات، وتطول وتقصر تبعا لما تقتضيه الأحوال... ولكنه الحكمة في التعليم، والرعاية للمناسبات، والتلطف في تبليغ الوحي الإلهي، وإعطاء ما يناسب الأفراد، والجماعات، من العظات، وبيان الأحكام، وما لنا نذهب بعيدًا، وهذا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، فيه القصة الواحدة لنبي من الأنبياء، تذكر في جملة سور منه على وجوه شتى، فتارة تذكر كلها كاملة، موجزة، أو مبسوطة، وتارة يذكر طرف منها في سورة، وطرف آخر في سورة أخرى، موجزًا ذلك الطرف، أو مبسوطًا، كل ذلك مع اختلاف الألفاظ، وتنوع العبارات، كما تراه في قصة آدم، ونوح،

وإبراهيم، وموسى، وعيسى-عليهم الصلاة والسلام-، أثر في تصريف القول في كل قصة من قصص الأنبياء مثلا تناقضًا، واختلافًا، كما يراه من في قلوبهم مرض، أم أنَّه الحق من ربك، يصدق بعضه بعضًا، ويشرح المجمل فيه بالمفصل، ويضم طرف من القصة الواحدة في موضع إلى طرف منها في موضع آخر، فتلتئم أطراف القصة، وإنَّ ذلك كله كان لاختلاف المقام، ورعاية الحال، كما يعلمه الراسخون في العلم، قائلين "كل من عند ربنا"(١).

٤- انفرد الحديث الرابع بالتعبير بلفظ:(تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي)؛ للدلالة به على الإصرار، والعزم على المضي في طريق العناد، بينما اتفق الحديثان الثاني، والثالث بالتعبير بلفظ:(تَقَحَّمُونَ)؛ للدلالة على ذات المعنى، فقد اتفق التعبيران في بيان إصرارهم، وعنادهم، وشدة معاناتهﷺ معهم، وقد ناسب كلٌ موقعه غير أنَّ التعبير بقولهﷺ (تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي) كان أكثر بيانًا عن ذلك المعنى؛ لعرضه في صورة محسوسة مرئية تمثلت في الاستعارة التمثيلية كان لها الفضل في إضفاء المبالغة في المعنى، وإلباسه ثوب الحسية؛ فكان لها وقع في النفس أشد، وتأدية للمعنى أوفى، والله ﷻ أعلم.

وبعد وبهذا يكون البحث قد انتهى مما هدف إليه وهو: إبراز بعض نقاط الاتفاق، والاختلاف العامة والخاصة بين الأحاديث الأربعة محل الدراسة بهدف البيان لأثر تعدد الروايات للأحاديث، والتركيز على ما اشتملت عليه كل رواية من لطائف تفردت بها، وبيان مناسبة هذه اللطائف لموقعها المستخدمة فيه، ومناسبة الألفاظ، والأساليب لموقعها، ومدي تناغم، وتناسب كلٍ لسابقه ولاحقه بما لا يمكن لغيره أن يسد مسده، وهذا التناغم، والتناسب بين المعاني المرادة، والأساليب، والأدوات المستخدمة ليس بالأمر الغريب، ولا الجديد عن البلاغة النبوية التي هي في القمة من البلاغة تأتي كما ذكر سابقًا في المرتبة الثانية بعد كتاب اللهﷻ، ولا

(١) الحديث والمحدثون، تأليف/ محمد محمد أبو زهو رحمه الله ، ص ٢٠٧- ٢٠٩، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: القاهرة في ٢ من جمادى الثانية ١٣٧٨هـ.

يوجد أروع من الكلام الذي وصف الرافعي (ت١٣٥٦ه) به بلاغتهﷺ لذا حرص البحث على نقله كاملًا فمما قاله في ذلك :" إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي- صلى الله عليه وسلم- على جهة الصناعتين اللغوية، والبيانية، رأيته في الأولى: مسدد اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفًا مضطربًا؛ ولا لفظة مستدعاه لمعناها، أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى، وتأتيًا لسره في الاستعمال؛ ورأيته في الثانية: حسن المعرض، بيِّن الجملة، واضح التفضيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة، ولا استكراهًا، ولا ترى اضطرابًا، ولا خطلًا، ولا استعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه"[(١)]، فالسمة البلاغية للحديث النبوي عند الرافعي كما استشفها الأستاذ الدكتور/عدنان محمد من كلامه: "هي سمة الكمال، أو سمة التوازن الذي بلغ حد الكمال، والإبداع، والذي لم يعهد في غير كلام النبيﷺ، وهذا هو سر ما أضافه النبي الكريم إلى ميراث اللغة العربية، والبيان العربي من المعاني، والكلمات المفردة، وهو عند الرافعي السبب فيما أنفرد به الكلام النبوي من أسرار البيان.." [(٢)]

بقي أمر أخير يريد البحث أن يلقي الضوء عليه قبل أن يسدل ستار النهاية له وهو: البيان لبعض الأهداف، والأغراض التي قُصدت من الأمثال القرآنية، والنبوية فهي أهداف لا تقتصر على الصنعة البيانية، ولا التقريب للمعنى كما هو

(١) تاريخ آداب العرب، تأليف/مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن عبد القادر الرافعي المتوفى١٣٥٦هـ،٢/٢١٢- ٢١٣، الناشر: دار الكتاب العربي.

(٢) سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ، والرافعي، والعقاد للأستاذ الدكتور/عدنان محمد زرزور، الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة قطر، بحث منشور على موقع مكتبة عين الجامعة على جوجل، ص ٢٦٦-٢٦٧.

معروف ومشهور بين الناس، ولكنها قُصد منها التربية والتهذيب فمما قيل عن ذلك:" بعض الأهداف التربوية التي حققتها الأمثال القرآنية النبوية:

لم تكن الأمثال القرآنية، والنبوية مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إنَّ لها غايات نفسية تربوية، حققتها نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض، بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء، ومن أهم هذه الأهداف التربوية:

١-تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية؛ ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية.

٢-إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتربية العواطف الربانية كما قال الشيخ محمد عبده: "واختير له لفظ "الضرب"؛ لأنَّه يأتي عند إرادة التأثير، وهيج الانفعال كأنَّ ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعًا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه"، ولاختيار المشبه به أكبر الأثر في إثارة الانفعال المناسب.

٣- تربية العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم: تنطوي معظم الأمثال على قياس تذكر مقدماته، ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي لا يصرح القرآن بها في كثير من الأحيان، بل يشير إليها، ويترك للعقل معرفتها، فعندما ضرب الله ﷻ مثلًا للحق، والباطل وصف المشبه به "الماء والسيل، والزبد، وما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وما يذهب جفاء"، ثم اكتفى بإشارة سريعة إلى النتيجة: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} [الرعد-١٧] ، وترك العقل أن يكتشف أنَّ الحق يبقى، وأنَّ الباطل يذهب جفاء، كما يذهب الزبد بعد انتهاء السيل، ويشعر الإنسان بلذة الظفر بالوصول إلى اكتشاف "اللغز" الذي أشارت إليه الآية.

٤-الأمثال القرآنية، والنبوية دوافع تحرك العواطف، والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة، ويدفعها إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير، وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم

حياة الأفراد، والمجتمعات، وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى تحقق للإنسانية الرخاء، والعدالة، والتحرر من كل خرافة، أو ظلم، ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك، والإرادة الطيبة، والنزوع إلى الخير؛ وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية، والنشاطية المدرسية المناسبة، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية، والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند الطلاب، ويحقق عزمهم على توجيه سلوكهم بما تقتضيه أمثال القرآن، وتعاليمه، فالأمثال القرآنية، والنبوية سلاح بلاغي، عاطفي، عقلي ماض، بليغ الأثر، عظيم النتائج، جم الفائدة." [1]

وبهذا البيان لبعض الأهداف، والأغراض التي قُصدت من الأمثال القرآنية، والنبوية يكون البحث قد حط رحاله، وتوقف بعد الطواف في الأحاديث الأربعة التي حرص فيها المصطفىﷺ على بيان مدي شفقته، وحرصه الشديد على أمته من الهلاك، ومدى معاناته في ذلك مع إصرار البعض وعنادهم؛ لأحاول جاهدة تسليط الضوء وتركيزه على تلك الصفة الجليلة من صفاتهﷺ الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ولمحاولة استظهار جانب ولو بسيط من بلاغة من أوتي جوامع الكلم ﷺ في هذه الأحاديث المذكورة، فبلاغته ﷺ كما وصفها الجاحظ (ت ٢٥٥ه):"... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوى، من كلامه- صلّى الله عليه وسلّم- كثيرا"[2]، أرجو من الله ﷻ أن

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية، وأساليبها في البيت، والمدرسة، والمجتمع، تأليف/عبد الرحمن النحلاوي، ص٢٠١-٢٠٤، الناشر/ دار الفكر ،الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٢) البيان والتبيين، تأليف/عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ،١٢/٢، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ،عام النشر: ١٤٢٣ ه.

يكون قد حالفني الصواب فيما كتبت، فذلك القصد، والغرض الذي سعيت إليه منذ البداية، أما إن كانت الأخرى، ولا أبتغيها؛ فأرجو من الله ﷻ المغفرة، والستر؛ لأنَّه جهد بشر محتمل للصواب، والخطأ.

****

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذه خاتمة بحثي الذي حاولت فيه جاهدة تسليط الضوء على جانب يسير من بلاغة من أوتي جوامع الكلم ﷺ في هذه الأحاديث الأربعة في صحيح مسلم التي حرص المصطفى ﷺ فيها على إبراز مدي شفقته، وخوفه الشديد على أمته من الهلاك، وإبراز مدى معاناته في ذلك مع إصرار البعض وعنادهم، وخلاصة ما قدمتُه في بحثى ما يأتي:

١- أنَّ البلاغة النبوية في منزلة وسطى بين كلام المولىﷺ المعجز، وبين كلام البشر فهي كما وصفها الرافعي(ت١٣٥٦ه) بقوله:" وقد علمت ما تكون وجوه الإعجاز المطلق في هذا الكلام العربي، وذلك مما وصفناه لك من إعجاز القرآن الكريم، فاعلم أنَّ نسق البلاغة النبوية إنَّما هو في أكثر الحد الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلام الناس من جهة، وينزل عن القرآن من جهته الأخرى، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه، ولا معجزة عليها فيما دونه، وهو عنده أبدًا بين القدرة على بعضه، والعجز عن بعضه"[(١)].

٢- أنَّ من صفاتهﷺ الشفقة بأمته، وأنَّ خيطًا رفيعًا يفصل بينها، وبين الرحمة؛ فالشفقة تكون في نواحي خاصة، والرحمة تكون عامة للجميع:المؤمن، والكافر، والأنس، والجن، والقريب، والغريب، والفقير، والغني، والحيوانات، وسائر الموجودات.

٣- أنَّ شفقته ﷺ تعددت صورها؛ فشملت القريب ، والبعيد عنه، والفرد، والجماعة.

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي، ٢/٢٢٣.

٤- أنَّ التشبيه التمثيلي في الأحاديث الأربعة كان الأداة المثلي في البيان لما أراده المصطفى ﷺ، والأنسب لموقعه فهو الأشد تأثيرًا، ووقعًا في نفس المتلقي فكما قال الإمام عبد القاهر(ت٤٧١ه)عن تأثيره إذا جاء في أعقاب المعاني:"... كساها أبهةً، وكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغف ..."[١]

٥- في الأحاديث الأربعة تعاونت الألفاظ، والأساليب اللغوية والبيانية مع الأداة الرئيسة وهي التشبيه التمثيلي؛ فكانت خير داعم له على تأدية دوره، حيث بلغﷺ القمة في البيان بحسن باختيار الالفاظ، والأساليب البيانية، والتراكيب، والصيغ الداعمة له، وكلٌ قد ناسب موضعه، وناسب سابقه ولاحقه في البيان النبوي.

٦- أنَّ اختلاف روايات الحديث الواحد في بعض الألفاظ ، وفي طريق العرض قد يكون مرجعها اختلاف المناسبات، ومراعاة لحال المقام، والمخاطبين فهي من باب الحكمة في التعليم، والرعاية للمناسبات، وإعطاء ما يناسب الأفراد والجماعات، من العظات، وبيان الأحكام.

٧- أنَّ لضرب الأمثال القرآنية، والنبوية تأثير عظيم، وفوائد جمة على الفرد والمجتمع؛ فهي لا تقتصر على الصنعة البيانية، ولا التقريب للمعنى كما هو المعروف بين الناس، ولكن يقصد منها التربية، والتهذيب للفرد، والمجتمع بإثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتربية العواطف الربانية؛ لحث الفرد، والمجتمع لعمل الخيرات، واجتباب المنكرات.

---

(١) أسرار البلاغة، تأليف/أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(المتوفى: ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، ص١١٥، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

وبعد، فهذه خلاصة ما تضمنه بحثي، أرجو أن أكونَ قد وُفِقتُ في طرحها، فإن كنتُ قد أصبتُ فمن اللهﷻ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنَّى اجتهدتُ بقدر ما أُتيح لي من جهد، ووعى، وتوفيق، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****

(أهم التوصيات)

التوجه إلى السنة النبوية، والاجتهاد في البحث عن مواطن فيها؛ لمحاولة استظهار بعضٍ من أسرار البلاغة النبوية في نظم الحديث النبوي كما في :

١- استظهار أوجه المناسبة بين العمل والجزاء في الحديث النبوي.

٢- استظهار أوجه المناسبة بين جملة الشرط، وجوابها في الحديث النبوي.

٣- استظهار أوجه المناسبة بين أسلوب الأمر، وجوابه في الحديث النبوي.

****

المصادر والمراجع :

١- أسرار البلاغة، تأليف/أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار(المتوفى: ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢- إصلاح المنطق، تأليف/ابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن إسحاق المتوفى٢٤٤هـ، تحقيق/ محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.

٣- أصول التربية الإسلامية، وأساليبها في البيت، والمدرسة، والمجتمع، تأليف/عبد الرحمن النحلاوي، الناشر/ دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف/عبد الله بن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام المتوفى٧٦١هـ، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة، والنشر، والتوزيع.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي المتوفي٨١٧هـ ،تحقيق/محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة ،عام النشر١٤١٦هـ -١٩٩٦م .

٦- بغية الإيضاح، تأليف/عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب،الطبعة: السابعة عشر:١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧- البيان والتبيين، تأليف/عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ المتوفى٢٥٥هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ،عام النشر: ١٤٢٣ ه.

٨- تاريخ آداب العرب، تأليف/ مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي المتوفى ١٣٥٦هـ، الناشر: دار الكتاب العربي.

٩- التعريفات، تأليف/علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني المتوفي٨١٦ه ،تحقيق/ جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ،الطبعة الأولى١٤٠٣ه - ١٩٨٣م .

١٠- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف/ محمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر المتوفى ٤٨٨هـ، تحقيق الدكتورة/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر مكتبة السنة- القاهرة- مصر، الطبعة الأولى١٤١٥- ١٩٩٥.

١١- تهذيب اللغة ، تأليف/ محمد بن أحمد الأزهري الهروي المتوفي٣٧٠ه ، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠١م .
١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تأليف/محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٣- جمهرة اللغة، تأليف/أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفي٣٢١ه، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
١٤- جواهر البلاغة في المعاني، والبيان، والبديع، تأليف/أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي المتوفى ١٣٦٢ه، تحقيق د/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت.
١٥- الحديث والمحدثون، تأليف/ محمد محمد أبو زهو، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: القاهرة في ٢ من جمادى الثانية ١٣٧٨هـ.
١٦- حروف المعاني والصفات، تأليف/عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي المتوفي٣٣٧ه تحقيق/علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٤م.
١٧- خاتم النبيين- صلى الله عليه وآله وسلم- ، تأليف/محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفى١٣٩٤هـ، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة عام النشر١٤٢٥ ه.
١٨- خزانة الأدب، وغاية الأرب لابن حجة الحموي المتوفي٨٣٧ه، تحقيق/عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م .
١٩- الخصائص، تأليف/أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى٣٩٢ه،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
٢٠- الدلائل في غريب الحديث، تأليف/ قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي أبي محمد المتوفى٣٠٢هـ، تحقيق د/محمد بن عبد الله القناص، الناشر/مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
٢١- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى٩١١هـ، حقق أصله، وعلق عليه/ أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر/دار ابن عفان للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية-،الطبعة الأولى١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٢- ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، تأليف/محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى٦٩٤هـ، عنيت بنشره/مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عام النشر: ١٣٥٦ هـ.
٢٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف/محمد بن القاسم أبي بكر الأنباري المتوفى٣٢٨ه، تحقيق د/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢ه- ١٩٩٢م .
٢٤- زهر الأكم في الأمثال والحكم، تأليف/الحسن بن مسعود أبي علي، نور الدين اليوسي المتوفى ١١٠٢هـ، تحقيق د/ محمد حجي، د/ محمد الأخضر، الناشر/الشركة الجديدة- دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.
٢٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله، وأعلام نبوته، وأفعاله، وأحواله في المبدأ والمعاد، تأليف/ محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى٩٤٢هـ، تحقيق وتعليق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.
٢٦- سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ، والرافعي، والعقاد، للأستاذ الدكتور/عدنان محمد زرزور، الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة قطر، بحث منشور على موقع مكتبة عين الجامعة على جوجل.
٢٧- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تأليف/علي بن محمد أبي الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي المتوفى٩٠٠هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة الأولى١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٨- شرح الشفا، تأليف/علي بن سلطان، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري المتوفى١٠١٤هـ ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى١٤٢١ هـ.
٢٩- شرح الكافية الشافية، تأليف/محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد الله، جمال الدين المتوفى ٦٧٢هـ، تحقيق/ عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
٣٠- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى" إكمال المعلم بفوائد مسلم" للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المتوفى٥٤٤ه، تحقيق

الدكتور/ يحيي اسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٤١٩ه-١٩٩٨م .

٣١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلًا بالحاشية المسماة "مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء"، تأليف/أبي الفضل القاضي عياض اليحصبي المتوفى٥٤٤هـ، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى المتوفى٨٧٣هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة، والنشر، والتوزيع عام النشر:١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

٣٢- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، تأليف/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين المتوفى:٣٩٥هـ، الناشر/ محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٣- الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية، تأليف/أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى٣٩٣هـ، تحقيق/أحمد عبد الغفور عطار، الناشر/ دار العلم للملايين- بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣٤- غريب القرآن لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى٢٧٦ه، تحقيق/ أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ه- ١٩٧٨م .

٣٥- الفاخر، تأليف/ المفضل بن سلمة بن عاصم، أبي طالب المتوفى نحو٢٩٠هـ، تحقيق/ عبد العليم الطحاوي، مراجعة/ محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي الطبعة: الأولى١٣٨٠ ه.

٣٦- الفروق اللغوية، تأليف/ أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي٣٩٥ه، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم، والثقافة للنشر، والتوزيع القاهرة- مصر .

٣٧- كتاب العين، تأليف/ أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي المتوفى١٧٠ه ، تحقيق د /مهدي المخزومي ، د / إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٣٨- الكليات معجم في المصطلحات، والفروق اللغوية، تأليف/أيوب بن موسى الكفوي أبي البقاء الحنفي المتوفي١٠٩٤ه، تحقيق/ عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٩- لسان العرب، تأليف/محمد بن مكرم، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى٧١١هـ،الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ.

٤٠- مجمع الأمثال، تأليف/أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري المتوفى ٥١٨ه، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر/دار المعرفة- بيروت، لبنان.
٤١- مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني المتوفى٣٩٥ه ، دراسة وتحقيق/زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.
٤٢- المحكم، والمحيط الأعظم، تأليف/أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى ٤٥٨ه، تحقيق/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.
٤٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، تأليف/مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري المتوفى٢٦١هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٤٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف/عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل المتوفى ٥٤٤هـ، دار النشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث.
٤٥- معاني القرآن، وإعرابه، تأليف/ إبراهيم بن السري أبي اسحاق الزجاج المتوفي٣١١ه، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨ه- ١٩٨٨م .
٤٦- معجم الفروق اللغوية، تأليف/أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفى ٣٩٥هـ، تحقيق/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
٤٧- المعجم الكبير، تأليف/سليمان بن أحمد مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني المتوفى٣٦٠هـ، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ،الطبعة: الثانية.
٤٨- المعجم الوسيط ،تأليف: (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٤٩- معجم مقاييس اللغة، تأليف/أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني المتوفي ٣٩٥ه، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .

٥٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني المتوفي٥٠٢ه ،تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.

٥١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف/أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى ٦٧٦هـ، الناشر/ دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الثانية١٣٩٢ه.

٥٢- موسوعة الطير، والحيوان في الحديث النبوي، تأليف/عبد اللطيف عاشور، الناشر: القاهرة.

٥٣- النحو الوافي/عباس حسن، دار المعارف- الطبعة الخامسة عشر.

٥٤- نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، تأليف/عدد من المختصين بإشراف الشيخ / صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر، والتوزيع – جدة ،الطبعة الرابعة.

٥٥- النهاية في غريب الحديث، والأثر، تأليف/ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المتوفى٦٠٦ه، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.

****

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	الملخص	١٢٨٠
٢-	Abstract	١٢٨١
٣-	المقدمة .	١٢٨٢
٤-	التمهيد : صور من شفقة النبي– صلى الله عليه وسلم.	١٢٨٥
٥-	المبحث الأول: أثر التشبيه التمثيلي في بيان المعنى في أحاديث الباب.	١٢٩١
٦-	المبحث الثاني : الموازنة بين الأحاديث.	١٣١٠
٧-	الخاتمة.	١٣٢٠
٨-	فهرس المصادر والمراجع .	١٣٢٣
٩-	فهرس الموضوعات.	١٣٢٩